أنماط التفاعل الاجتماعي في الحياة الجامعية
دراسة اجتماعية ـ أنثروبولوجية في جامعة الموصل

م. حارث علي العبيدي *

تاريخ استلام البحث ٢٠١١/١١/٢٤

تاريخ قبول النشر ٢٠١٢/١/٢٥

الملخص

تعد الجامعة مؤسسة تعليمية وتثقيفية، وتمثل صرحا حضاريا لما تحويه من خبرات وكفاءات علمية وإدارية وفنية وأكاديمية. فضلا عن طرازها العمراني الذي يعكس الحداثة والمدنية. وبما أنها تقع تحت مظلة النسق التربوي كجزء من انساق البناء الاجتماعي في المجتمع، إذن ستكون وعاء للكثير من العمليات الاجتماعية.

وعليه ارتأى الباحث القيام بهذا البحث، وذلك للوقوف على الواقع الاجتماعي في الجامعة وما يتضمنه من العمليات الاجتماعية وما فيها من أنماط التفاعل الاجتماعي وصوره وأشكال العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات داخل هذه المؤسسة.

وتوصل البحث إلى جملة من النتائج أهمها، أن الجامعة بوصفها مؤسسة تعليمية تشكل تنظيما اجتماعيا مميزا يتجلى في نشاطاتها ووظائفها المتعددة، لذا فإن الجانب الاجتماعي يؤدي دورا مهما في الحياة الجامعية بجوانبها العلمية والعملية والتربوية والإرشادية. وتضمن البحث ثلاثة مباحث، فضلا عن مقدمته وخاتمته.

Patterns of Social Interaction in The Academic Life
A Socio-anthropological Study of Mosul University

Abstract

A university is an institution of education and cultivation that represents a civilized edifice having expertise, scientific,

* مدرس / قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب / جامعة الموصل.

administrative, technical and academic competences, as well as architectural style which reflects the modern and urban rights. Since it comes under the umbrella of the educational order as part of social structure in the community, a university is a pot that holds many social processes.

Thus in his research, the researcher has chosen to focus on the social reality in the university. This encompasses relevant social processes and social interaction patterns and forms, including cooperation, competition, conflict, social assimilation and social relationships between individuals and groups within this institution For that a researcher conducting this research to determine the reality of the University of Mosul and social climate and their patterns of social interaction and social relationships and formal and informal activities which play an important role in raising the scientific competence of teachers and students, and administrative affiliates through its social roles and positions in different headings in this important Scientific edifice.

. The research comprises three sections besides the introduction and conclusion.

المقدمة

لاشك أن أي مجتمع يتكون من مجموعة من الأنساق، وهي تشكل البناء الاجتماعي فيه. وتختلف وتتنوع بتنوع الحاجات الإنسانية. ومنها النسق الديني والاقتصادي والسياسي والعسكري والتربوي والأسري. وهذه تعتمد في أدائها على مبدأ التكامل النابع من الاختلاف. بمعنى أن أي خلل في أداء أحد منها سيؤثر في أداء الأنساق الأخرى.

إن الجامعة تقع ضمن مؤسسات النسق التربوي على اختلاف تنظيمها وبنائها، وتعد من المؤسسات المهمة في المجتمع لما تقوم به من نشاطات

متعددة، منها العلمية والاجتماعية والإرشادية والتربوية والثقافية، من خلال ادوار كوادرها الإدارية والعلمية والأكاديمية والفنية. مما يساعد في تحقيق أهدافها على مستوى الفرد والمؤسسة. وهذا بالتأكيد يعتمد على مجموعة عوامل وليس عاملاً واحداً.

وعليه ارتأى الباحث إجراء هذا البحث للوقوف على واقع جامعة الموصل ومناخها الاجتماعي وما فيه من أنماط تفاعل اجتماعي وعلاقات اجتماعية ونشاطات رسمية وغير رسمية تلعب دورا مهما في رفع الكفاءة العلمية للأساتذة والطلبة، والإدارية لمنتسبيها، من خلال ادوار أعضائها الاجتماعية ومراكزهم المختلفة من حيث العناوين والألقاب العلمية في هذا الصرح العلمي الحضاري.

واعتمد الباحث الاتجاه السوسيوانثروبولوجي مدخلاً لدراسته في جمع وتحليل المادة العلمية المتعلقة بالموضوع .

المبحث الأول : الإطار المنهجي للبحث

أولا : تحديد مشكلة البحث

لا جدال أن الفرد يسعى إلى إشباع حاجاته المتنوعة والمختلفة من خلال وجوده في المجتمع. وهذه الحاجات تتوزع على مجموعة الأنساق التي يتكون منها البناء الاجتماعي لأي مجتمع. وتشبع من خلال العمليات الاجتماعية وآلياتها ، كالتفاعل الاجتماعي الذي يقوم على شبكة من العلاقات الاجتماعية، بالاعتماد على المراكز والأدوار الاجتماعية التي تفرز نماذج متعددة من السلوك في الحياة الاجتماعية.

إن الجامعة بوصفها مؤسسة تقع ضمن النسق التربوي بما تؤديه من وظائف ونشاطات علمية وإدارية وإرشادية تسهم بها ضمن نسقها بصورة

خاصة وانساق البناء الاجتماعي بصورة عامة. وهذا يلعب دورا كبيرا في تحقيق نسبٍ من النجاح لإشباع حاجات منتسبيها. وهذا يعمل على دفع عجلة تقدم وتطور المجتمع.

إن نجاح هذه المؤسسة الأكاديمية في أدائها لوظيفتها، يعتمد بالتأكيد على جملة من العوامل تتوزع ما بين الفرد والجماعة والمؤسسة. فمنها نسبة أداء الأفراد لأدوارهم من خلال مراكزهم ومناصبهم الرسمية والإدارية بشكل مقبول بما يتناسب والمركز المشغول، وكذلك مدى ارتقاء الجماعة الاجتماعية بمكانة الكليات والأقسام والفروع التي يعملون بها إلى المرتبة التي تتوافق وتخصصها العلمي والإداري والتربوي. فضلا عن مدى تحقيق الجامعة لأهدافها في الارتقاء إلى درجة أعلى في الهرم العلمي والثقافي داخل المجتمع.

إن هذه الأدوار المختلفة باختلاف الكفاءة، سببه الفروق الفردية بين مؤديها، سواء ما يتعلق منها بالشخصية أو الكفاءة أو المنصب الإداري، والتي تتجلى بألوان ونماذج من السلوك الاجتماعي تنصهر في الوعاء المؤسساتي "الجامعة" من خلال التفاعل الاجتماعي بأنواعه.

لترسم صورة محددة المعالم للحياة الجامعية، تختلف عن غيرها من الجامعات الأخرى. وبالتالي خلق مناخ معين من العمل، يحيط بالعمليات الاجتماعية فيها، فإما أن يساعد في تحقيق الأهداف أو يكون عائقاً.

وعليه تتمحور مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية..ما صور التفاعل الاجتماعي في الحياة الجامعية ؟ ما أبعاده وانعكاساته على جميع المستويات العلمية والإدارية والاجتماعية والثقافية ؟ ما أشكال العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الجامعي ؟ ما النشاطات والوظائف التي تؤديها

نظم هذا المجتمع ؟ ما دورها في تحقيق الأهداف العامة والخاصة للجامعة ؟ ما هي آليات إشباع حاجات منتسبيها وأعضائها ؟

ثانيا : أهمية البحث

الأهمية النظرية..

تأتي هذه الأهمية من خلال معرفة الواقع الاجتماعي للجامعة والوقوف على حقيقته من خلال الحصول على جملة من المعلومات التي قد يوفرها البحث، وهي إضافة معرفية في إطار العلم ذاته وإغناء لجانب من جوانب النسق التعليمي أن تفيد في الدراسات الميدانية في الجانب التطبيقي داخل هذه المؤسسة العلمية الأكاديمية.

الأهمية التطبيقية..

تتجلى من خلال تقديم البحث قدرا من الحقائق التي قد تساعد في رسم الخطط العلمية وتوزيع المهام الإدارية بالشكل الذي يتناسب والسمات الشخصية والعلمية والإدارية، والمنصب المراد إشغاله. للوصول إلى تحقيق الأهداف المخطط لها بنسب اقل من الجهد والوقت.

ثالثا : أهداف البحث

يهدف البحث إلى..

١- الوقوف على الواقع الاجتماعي للجامعة.

٢- معرفة أهم النشاطات الاجتماعية والتربوية فيها، والتي يفرزها التفاعل الاجتماعي بين أعضائها.

٣- معرفة أنماط هذه النشاطات وانعكاساتها على سير العملية الإدارية والعلمية والتربوية فيها.

رابعا : منهج البحث

اعتمد الباحث على منطلقات النظريـــة التفاعليـــة Interaction Theory مدخلاً نظرياً للبحث، والاتجاه السوسيوانثروبولوجي للمزاوجة بـــين منظـــوري علم الاجتماع والانثروبولوجيا. واخذ البحث شكل الدراسة الحقلية field work ، وكانت من وسائل جمع المعلومات، الملاحظة البسيطة والمقابلة، فضلا عـــن الملاحظة بالمشاركة بوصف الباحث جزءاً من المجتمع المدروس.

خامسا : تحديد المصطلحات العلمية

ويمكن حصرها في مصطلحي **الأنمـــاط** pattern **والتفاعـــل الاجتمـــاعي social interaction** .

النمط pattern ،ويعرف بأنه مجموعة الأفكار والفعاليات والأشياء المادية التي تتجمع بأسلوب منطقي وتترابط بطريقة وظيفية بحيث لا يمكـــن تمييزهـــا بوصفها أجزاء ومكونات، بل تبدو كلاً ذا طراز عام متناسق(١). وقـــد يـــستخدم المصطلح للإشارة إلى بعض أنماط السلوك التي تحددها الثقافة مثل الشعائر أو الطقوس أو ببساطة التتابع الاعتيادي المألوف والنمطـــي للأنـــشطة الإنـــسانية المختلفة (٢).

وتعرفه هذه الدراسة " مجموعة الأفكار والنشاطات وأجزاء من السلوكيات المتكررة والتي تظهر بطراز متناسق لا يمكن تمييز مكوناته".

التفاعل الاجتماعي social interaction ، ذلك السلوك ألارتباطي الذي يقوم بين فرد وآخر، أو بين مجموعة من الأفراد في مواقف اجتماعية مختلفـــة، أي انه تأثر الشخص بأعمال وأفعال وآراء غيره وتأثيره فيهم، بمعنى أن هنـــاك تأثيرا أو تأثرا أو فعلا وانفعالا في أي موقف إنساني(٣). ويمثل العملية الجماعية

الأساسية الذي يشكل العامل المركزي في كل حياة الإنسان الاجتماعية[٤]. ليمثل أي نشاط متبادل بين شخصين أو عدة أشخاص أو مجموعات بحيث تكون أفعال كل فريق حافزا لردود فعل الفريق الآخر و الفرق الأخرى، وانه حقيقة أساسية لكل الحياة الاجتماعية[٥].

ونقصد به هنا "السلوك الذي يربط بين الأفراد في المواقف الاجتماعية بشكل يؤدي إلى تأثر بعضهم ببعض" .

المبحث الثاني : التفاعل الاجتماعي والمؤسسة التعليمية

تمهيد ..

عند دراسة المؤسسة التربوية والتعليمية بهدف الوصول إلى معرفة نشاطها ووظيفتها داخل البناء الاجتماعي للمجتمع، لابد من الوقوف على المكونات الأساسية التي تؤدي إلى حدوث التفاعل الاجتماعي، باعتمادها على شبكة العلاقات الاجتماعية والتي تشكل النسيج الرابط بين المراكز وأدوارها، إذ من شانها أن تفرز نماذجا من السلوك، وبالتالي ترسم لنا صورة محددة للحياة داخل هذه المؤسسة، تختلف عن غيرها من المؤسسات الرسمية الأخرى لاختلاف مكوناتها وعناصرها وتنظيمها ووظائفها، ومن هذه المؤسسات التربوية والتعليمية، المدارس، والمعاهد، والجامعات، والتي تهتم بتعليم الجيل الجديد وتلقينه وتزويده بالخبرات والمهارات العلمية والعملية. وإن الدراسة الاجتماعية للمؤسسات التربوية تنطوي على أربع عمليات أساسية، هي دراسة الأدوار القيادية والوسطية والقاعدية ووظائف وواجبات كل منها مع فحص أنماط العلاقات الإنسانية في المؤسسات التربوية والتعليمية كالعلاقات العمودية والأفقية والرسمية وغير الرسمية[٦].

إن هذه العمليات كلها تصهر في هذا الوعاء المؤسساتي من خلال أنماط التفاعل الاجتماعي بين العناصر المادية والمعنوية، لإنتاج نشاطات وإسهامات متنوعة تتجلى مظاهرها في الواقع الإداري والعلمي للمؤسسة التعليمية.

ولهذا سنهتم بالمفاهيم الأساسية للتفاعل الاجتماعي للوصول إلى معرفة أنماطه وانعكاساته على جميع المستويات، منها البيروقراطية الإدارية والكفاءة العلمية بألقابها وعناوينها المختلفة ونمط العلاقات الاجتماعية بين الإدارة والأساتذة والطلبة. ومن أهم المفاهيم، المركز والدور والسلوك ونسق العلاقات الاجتماعية.

أولا : ماهية التفاعل الاجتماعي

يعد التفاعل الاجتماعي من العمليات الرئيسة في جميع مؤسسات المجتمع المختلفة، ومن خلاله تتجسد العمليات الاجتماعية على اختلافها وتنوعها، والتي تسعى لتحقيق إشباع الحاجات الإنسانية في المجتمع.

إن وجود الإنسان وسط جماعة في محيط اجتماعي واسع يضم الأفراد والجماعات ونظم المجتمع، قامت بينهم تفاعلات من خلال شبكة من العلاقات التي ينشأ عنها تبادل أفكارهم وأرائهم(٧). وأدى اتساع دائرة الاحتياجات وتغير ظروف الإعداد الاجتماعي إلى التأثير في نمط التفاعل الاجتماعي بين الأدوار والجماعات وبينها وبين النظم الاجتماعية في مجتمع اليوم(٨). ولا يمكن فهم طبيعة التفاعل الاجتماعي إلا بفهم المراكز والأدوار ومشروعية أدائها ونشاطها، لأنها الوسائل التي من خلالها يقوم التفاعل الاجتماعي بأنواعه وإشكاله بين الأفراد والجماعات والنظم داخل التنظيم الاجتماعي في المجتمع.

المركز status في أساسه مصطلح قانوني يراد به الحالة الناشئة من علاقة قانونية بين الأفراد دون تعاقد اختياري فيما بينهم، ويستعمل للدلالة على

نفوذ الشخص في مجتمعه بوجه عام[٩]. أما المركز الرسميformal status فهو المركز الذي يحدد بصفة رسمية للشخص في الجماعة بما له من حقوق وما عليه من واجبات[١٠]. في حين أن المركز الاجتماعي social position يعني الأحكام والمقاييس الأخلاقية والاجتماعية التي تحدد السلوك الاجتماعي اليومي للفرد[١١].

وهذا يدل على أن الإطار القانوني وما فيه من حقوق وواجبات هو الذي يؤطر شخصية صاحب المركز الرسمي. أما الإطار الاجتماعي ومعاييره القيمية والسلوكية فيعطي الفرد مركزه في السلم الاجتماعي ويرفع مكانته ومنزلته في المجتمع.

الدور الاجتماعي social role يمكن تعريفه بأنه السلوك المتوقع من شاغل و لاعب المركز الاجتماعي[١٢]. إذ انه يعكس إفرازات المركز الرسمي أو الاجتماعي والذي يمثل توقعات الفرد أو الجماعة، فضلا عن انه سلوك يحمل الشرعية القانونية أو الاجتماعية حيث يكون متوافقا ومعبرا عن قيم الجماعة والمجتمع.

وهنا لابد أن نشير إلى ماهية **السلوك behavior**، الذي يعني أي تغير في مستوى نشاط الفرد يتم ردا على تنبيهات مباشرة أو غير مباشرة واردة من بيئته[١٣]. وكذلك هو أي فعل يستجيب به الكائن الحي برمته لموقف ما استجابة واضحة للعيان وتكون عضلية أو عقلية أو هما معا، وتترتب هذه الاستجابة على تجربته السابقة، قد يكون فطريا أو مكتسبا ويكون قسرياً و قهرياً، وسلوك مستتر أو ظاهر[١٤]. وفي الجانب الإنساني والاجتماعي يشكل نمطا من السلوك behavior pattern ويعني أي شكل من أشكال النشاط الإنساني الذي يأتي

منظماً أو متكررا[١٥]. وهذا السلوك يكون نابعا من المركز ودوره الذي يمكن أن ينتج نماذج من السلوك، أي أن الدور الواحد يفرز أكثر من سلوك يتناسب والمواقف الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية.

إن شرعية المركز ودوره بنماذج سلوكياته يمكن أن ينتج قوة تؤثر في الحياة الاجتماعية وهي **السلطة authority** والتي تعني احد أشكال القوة التي توجه جهود الأفراد العاملين في المؤسسات البيروقراطية نحو تحقيق الأهداف العامة والخاصة التي يصبو إليها المجتمع والفرد[١٦]. وهذه تختلف في تطبيقها باختلاف التنظيم المؤسسي بين المؤسسات المختلفة وكذلك بين الأفراد أنفسهم لوجود الفروق الفردية بينهم.

ثانيا : آلية التفاعل الاجتماعي

لكل عملية اجتماعية في المجتمع آليات ووسائل تؤدي دورها الذي يختلف عن العمليات الأخرى، بحسب المواقف الاجتماعية المختلفة.إن التفاعل الاجتماعي يتم عن طريق وسائل الاتصال المختلفة[١٧]. وهذه تنتج ردود أفعال مختلفة باختلاف العناصر الثقافية المتفاعلة والتي تدخل في احتكاك وتبادل بين عناصرها ومكوناتها المادية والمعنوية. وخلاله تكون الحوافز وردات الفعل متواصلة، فتؤلف عندئذ (نمطا) من التفاعل، وكل تفاعل يتضمن نوعا من الاحتكاك، إن كان مباشرا كالمخاطبة والأعمال الجسدية والاستماع، أو غير مباشر من خلال الأعمال المكتوبة أو أنواع أخرى من الاتصال البعيد[١٨].

إن التفاعل الاجتماعي يختلف من مجتمع لآخر لاختلاف ثقافة المجتمعات في عناصرها الأساسية المكونة لها. أي أن حضارة المجتمع تلعب دورا مهما في تحديد شكل التفاعل الاجتماعي داخل المجتمع. وبما أن الحضارة تعد عاملا مهما في طبيعة التفاعل الاجتماعي، فهي التي تقدم نماذج التفاعل الاجتماعي

وتحدد المراكز والأدوار والعلاقات الاجتماعية [١٩]. فضلا عن ذلك فان ظروف المجتمع وأهدافه تلعب دورا في تحديد طابع التفاعل الاجتماعي بين أعضاء المجتمع ونظمه المكونة له. فإذا كانت القيمة التي يناضل الناس من اجلها نادرة فإن سلوك التنافس سيظهر، في حين أن المساواة في الحصول على نتائج العمل أو النشاط يؤدي غالبا إلى التعاون أكثر من المنافسة [٢٠]، ويؤكد هذا تأثير نوعية الأهداف التي يمكن تحقيقها من خلال التفاعل الاجتماعي.

ثالثا : صور التفاعل الاجتماعي

إن التفاعل الاجتماعي يتجسد في صور ومواقف ومشاهد تظهر بوضوح على السطح الاجتماعي لإشباع حاجات الأفراد. إذ أن للأفراد في المجتمع حاجاتهم الضرورية المتمثلة في الحاجة للارتباط والحاجة للانتماء والحاجة للإنشاء والإبداع، وبقدر ما يحقق المجتمع متطلبات الحياة الاجتماعية يحقق الإشباع لحاجات الإنسان، وبقدر ما يحقق حاجات الإنسان الاجتماعية يضمن تكافل الفرد مع المجتمع وتكيفه مع أوضاعه وتعاونه مع الآخرين لضمان تقدمه[٢١].

إن صور التفاعل الاجتماعي متكررة وعامة يسميها علماء الاجتماع (العمليات الاجتماعية الاضطرارية)، ومن نماذجها التنافس والصراع والتوافق والتمثيل، أي تصنف هذه العمليات إلى (تعاون وتعارض) [٢٢]. ويمكن تقسيمها إلى ايجابية وسلبية، بحسب نوعية العلاقات الاجتماعية بين الأطراف المتفاعلة، إذ أن العلاقات الودية تختلف عن العلاقات غير الودية. ويمكن معرفة ماهية هذه العلاقات عند معرفة أهم المفاهيم التي تتمخض عنها، ومنها..

الصراع conflict وهو نزاع مباشر مقصود بين أفراد أو جماعات من اجل هدف واحد، وتعد هزيمة الخصم شرطا ضروريا للتوصل إلى الهدف،

ويعد احد الأشكال الرئيسة للتفاعل لأنه يستهدف تحقيق الوحدة بين المجتمعات(٢٣).

التعاون cooperative ويحصل عندما يعمل الناس معا للوصول إلى أهداف مشتركة(٢٤). ويدل هذا على انه سلوك ايجابي يحقق علاقات اجتماعية قائمة على المحبة والمودة بعيداً عن الفردية والمصلحية.

التمثيل الاجتماعي social assimilation وهو امتزاج عدة أفراد أو جماعات يمثلون ثقافات مختلفة في وحدة متجانسة(٢٥). أي التلاقح والتثاقف ما بين الأفكار المتنوعة والمختلفة التي يحملها الأفراد في مكان واحد.

المنافسة competition ، تزاوجت أصول الأفكار الاجتماعية والبيولوجية حول مدلولها، وقد فهم في المدينة على انه الصراع بين الأفراد للحصول على مواقع متميزة فوق الرقعة الجغرافية الواحدة(٢٦). وتحصل بين الأفراد من ذوي المصالح المتضاربة والمختلفة ممن يبحثون عن مضاعفة منافعهم أو مكافآتهم(٢٧).

في ظل هذا المناخ الاجتماعي من العمليات الاجتماعية المختلفة فإن الظروف المجتمعية تؤثر في آليات وصور التفاعل الاجتماعي. وان التنظيم الاجتماعي في المؤسسات بأنساقها المتعددة يؤدي وظائف تتجلى في شكل نشاطات وإسهامات يمكن من خلالها معالجة المظاهر السلبية النابعة من التفاعل الاجتماعي، والتي يمكن أن تؤدي إلى خلق بعض الأمراض الاجتماعية في المجتمع. ولهذا فان على المجتمع أن ينظم تفاعل أفراده وجماعاته وقيمه على أساس تكامل أعضائه معه من خلال عمليات خاصة بإعداد الأفراد وتكوين شخصياتهم، وتتمثل في تنشئة الأفراد في محيط أسرهم، وعملية تربيتهم في

المؤسسات التعليمية، وعملية تثقيفهم عن طريق وسائل الإعـــلام فـــي محـــيط مجتمعهم[٢٨].

رابعا : العلاقات الاجتماعية:

إن معظم العمليات الاجتماعية داخل المجتمع هي نتاج للتفاعل الاجتماعي، وذلك من خلال النسيج الاجتماعي والروابط التـــي تـــربط العناصـــر الثقافيـــة المتفاعلة، ويمكن تسميتها بالعلاقات الاجتماعية في التنظـــيم الاجتمـــاعي لأي مجتمع.

إن **العلاقة relation** يمكن تعريفها على أنهـــا رابطـــة بـــين شـــيئين أو ظاهرتين بحيث يستلزم تغير احدهما تغير الآخر، وقد تكون علاقـــة اتفـــاق أو تبعية[٢٩]. أي أنها الرابطة التي تربط أي جـــزء أو وحـــدة أو ظـــاهرة داخـــل المجتمع سواء أكانت على اتفاق أم انقياد.

أما العلاقة الاجتماعية social relation فتعني أية صلة بـــين فـــردين أو جماعتين أو أكثر أو بين فرد وجماعة، وقد تقوم هذه الصلة علـــى التعـــاون أو عدم التعاون وقد تكون مباشرة و غير مباشرة وقد تكون فوريـــة أو آجلـــة[٣٠]. إذن هي الروابط المتبادلة بين الأفراد في المجتمع، وتنشا من طبيعة اجتمـــاعهم وتبادل مشاعرهم وأحاسيسهم عن طريق احتكاك بعضهم بالبعض الآخـــر مـــن خلال تفاعلهم في بوتقة المجتمع.

وتقسم العلاقات الاجتماعية إلى عدة أنواع مختلفة تبعا لعدة معايير، منهـــا طبيعتها ومضمونها والهدف الذي تكونت من اجله. فمنها ما يسمى بالعلاقـــات المجمعة associative relation أو العلاقات البناءة constructive وتسمى بالعلاقات الايجابية active، ومنها ما يسمى بالعلاقـــات المفرقـــة dissociate

ويطلق عليها (فون فيزي) بالعلاقات الهدامة destructive ويطلق عليها كذلك العلاقات السلبية passive ومنها ما هو مباشر وغير مباشر[٣١].

وهناك نوع آخر هو **علاقات بين أشخاص interpersonal relation** والتي تعني مجموعة التفاعلات الاجتماعية والنفسية التي تنشأ من اتصال الفرد بالآخرين[٣٢]. وان حجم التنظيمات وطبيعة العلاقات فيها رسمية كانت أم غير رسمية، شخصية أم غير شخصية، عميقة أم سطحية، مباشرة أم غير مباشرة، ودرجة تفاعلها كلها ترتبط بالتفاعل الاجتماعي، لان التنظيم الاجتماعي هو موضوع التفاعل الاجتماعي[٣٣]. وكلما توافر الإحساس المتكامل بالانتماء للجماعة تمت العلاقات في جو من الصفاء والتواصل الاجتماعي[٣٤].

ومن هذا نستنتج أن العلاقات الاجتماعية على اختلاف أنواعها تحدد بنسبة كبيرة نمط التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات في الحياة الاجتماعية.

المبحث الثالث: أنماط التفاعل الاجتماعي في الحياة الجامعية

تمهيد..

إن الجامعة بوصفها مؤسسة تعليمية تضم شريحة مهمة من شرائح المجتمع، بسبب كون أعضائها من أصحاب الكفاءات العلمية والإدارية والفنية. ويلعب طرازها العمراني وتنظيمها الاجتماعي دورا كبيرا في تحقيق أهدافها على مستوى الفرد والجماعة والمؤسسة والمجتمع.

إن حدود المجتمع وأنماط السلوك في الحياة الاجتماعية تؤثر في ثبات واستقرار البناء الاجتماعي سواءاً في الديناميك أو الاستاتيك[٣٥]. فالجامعة بوصفها حيزاً مكانياً محدداً يمثل صرحاً حضارياً يعكس عصر الحداثة، بتقنياته ومواكبته للتطورات العلمية. وفيها تلتقي أنواع مختلفة من الثقافات الفرعية التي

تمثل المجتمعات المحلية القادمة منها، لأنها تمثل الوعاء الذي تصب فيه هذه الثقافات التي تتفاعل مع بعضها من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية، و التي بدورها تتفاوت تبعا للمراكز والأدوار والسلوكيات التي تنتج عنها. وهذا التفاعل الاجتماعي بالتأكيد له انعكاسات وأبعاد في الحياة الجامعية اليومية، ويمكن حصرها في جانبين رئيسيين هما، الجانب الإداري والجانب العلمي.

أولا : الجانب الإداري

إن الشرعية القانونية للمراكز الرسمية التي يحملها الأفراد تحدد الملامح الأساسية لنمط التفاعل الاجتماعي في الجامعة. لأنه يعتمد على العلاقات الرسمية، وهذا شيء طبيعي لنسق يسود فيه نظام العمل البيروقراطي. حيث يغلب نمط العلاقات الاجتماعية الثانوية والسطحية القائمة على الالتزام بالتعليمات والأوامر الرسمية والقانونية. وهو ما يخلق حالة من الرتابة والملل ليس عند الموظفين فحسب، بل عند المراجعين أيضا. مما يؤدي إلى هدر في الوقت بسبب تأخير وتعطيل الكثير من الكتب والإجراءات الإدارية التي تتطلب السرعة في الانجاز. وهذا الالتزام إلى درجة الإفراط يعزز سمة من سمات الشخصية الموصلية وهي الحرص والجدية بالعمل[٣٦]. على الرغم من الانضباط العالي والانتظام في تطبيق الإجراءات الرسمية، إلا أن العلاقات الاجتماعية تلعب دورا كبيرا في تسريع انجاز وترويج معظم المعاملات والكتب الإدارية والرسمية لاسيما بين الإداريين وأصحاب المعاملات.

أما فيما يتعلق بنمط التفاعل الاجتماعي بين الموظفين فهو يتوقف على نوع العلاقات الاجتماعية بينهم، فإذا كانت أولية وغير مصلحية فسيؤدي بالتفاعل الاجتماعي أن يبنى على نمط العلاقات الاجتماعية الايجابية ليأخذ مثلا شكل التعاون، ويتضح ذلك في عدم تأثر العمل الإداري عند غياب احد

الموظفين بسبب تعاونهم وسد الفراغ، من خلال أدائهم جهداً أضافياً. وعلى العكس من ذلك نرى التأخير والتعطيل لكثير من المعاملات عندما تكون العلاقات سلبية تؤدي إلى الصراع من اجل المصلحة الفردية. بالإضافة إلى ذلك فإن علاقة الموظفين مع الأساتذة لا تقل أهمية في التأثير على العمل الإداري، فإذا كان التواضع هو الأساس في تعامل الأساتذة مع الموظفين، والعلاقات الاجتماعية الودية هي الرابطة بينهم، فبالتأكيد سوف يسير العمل في مناخ من الاحترام وتغلب روح الجماعة على النزعة الفردية، والتضامن والتكافل بدل الأنانية والتكبر. أما إذا كان التفاعل على أساس استغلال الفرق في الشهادة واللقب العلمي، فسيضعف ذلك العلاقات الاجتماعية بينهم، بسبب شعور الموظفين وإحساسهم بالدونية من تعالي الأساتذة عليهم، ويتجلى ذلك في بعض الكلمات التي يوجهها عدد من الأساتذة إلى الموظفين في مواقف لا تتطلب ذلك أثناء العمل " أنت مجرّد موظف "[*]. وكأنه الأستاذ لم يمر بمرحلة البكالوريوس وغيرها من المراحل الدراسية التي سبقت الماجستير أو الدكتوراه، ليسود التوتر على مناخ العمل عموما بدلاً من الوئام والتماسك والتعاون.

إن شكل التفاعل الاجتماعي يختلف بين الأفراد في الفروع والأقسام والكليات بحسب نوع الاحتكاك الموجود بينهم بسبب تواجدهم في حيز مكاني محدد وبشكل يومي ولساعات طويلة. لان الأعمال الجسدية والمخاطبة والاستماع تختلف عن الأعمال المكتوبة والاتصال البعيد نسبيا في رسم صور التفاعل الاجتماعي. ويتجلى ذلك في قوة العلاقة بين الإداريين الذين يعملون في مكان واحد تكون أكثر من غيرهم. مثل التفاعل بين موظفي القسم مع بعضهم أعلى من تفاعلهم مع موظفي الكلية، وبين موظفي الكلية أقوى منه مع الكليات الأخرى وهكذا وصولا إلى رئاسة الجامعة.

ثانيا : الجانب العلمي

وهذا يتعلق بالتفاعل من خلال العمليات التعليمية والتثقيفية والإرشادية على مستويات التدريسيين والطلبة. وعليه يمكن تقسيمها إلى مستويات التدريسيين فيما بينهم والتدريسيين مع الطلبة وفيما بين الطلبة.

١ / التفاعل بين التدريسيين

هناك العديد من العوامل تؤثر في عملية التفاعل الاجتماعي بين التدريسيين، ومنها اللقب العلمي والشهادة ومدة الخدمة والكفاءة العلمية والسمات الشخصية والخبرة العلمية والإدارية والتخصص العلمي.

أما اللقب العلمي فيمثل عاملا مؤثرا في تعامل حامله مع من هم اقل لقبا منه، فإذا كان الأستاذ ينظر إلى المدرس أو المدرس المساعد نظرة فوقية متعالية**، فبالتأكيد ستكون العلاقات الاجتماعية ضعيفة وهذه ستنعكس على صورة التفاعل الاجتماعي ليأخذ شكل الصراع فيما بينهم، بدلاً من التعاون والمساعدة في إعطاء وتزويد المعرفة العلمية من خبرته المتراكمة. بسبب شعور بعضهم وكأنهم سيفقدون وظيفتهم ويحلون التدريسيين الشباب محلهم. ويتجلى ذلك بوضوح في صعوبة إعطاء بيان حاجة للمتقدمين للتعيين، وفي تقييم بحوث الترقية العلمية، وفي توزيع المهام والمحاضرات في الفرع أو القسم، فضلا عن تخصيص الغرف. وهذا يعود إلى عدة أسباب منها نفوذهم في المناصب الإدارية واللجان العلمية واعتقادهم أن التدريسيين الجدد قد فرضوا قسرا على الجامعة بقرار وزاري، وبالتالي يمكن التشكيك في قدراتهم وكفاءاتهم. وعلى الرغم من هذه السلوكيات التي تسود بعض العلاقات الاجتماعية إلا أن كثيرا ممن يحملون شهادات وألقاب نراهم يحتضنون من هم اقل منهم لقبا، ويساعدونهم ويأخذون بأيديهم بنفس أبوي كريم في مختلف

النشاطات، كاللجان الامتحانية والمحاضرات والمختبرات والبحوث العلمية والرسائل والاطاريح.

من جانب آخر أن نوع التخصص العلمي أحيانا يكون عاملا يخلق حالة الفوقية بين التدريسيين من الاختصاصات المختلفة***. ويتضح هذا المبدأ في التعامل بين بعض تدريسيي كلية الطب والهندسة مع تدريسيي كلية التربية أو الآداب مثلا.

٢ / التفاعل بين التدريسيين والطلبة

إن العملية التدريسية هي عملية جماعية وليست فردية، أي أنها تعتمد على أطراف التفاعل فيها على حد سواء. وأهدافها متعددة بتعدد حاجات الإنسان في المجتمع. ومنها حاجته إلى العلم والقبول الاجتماعي وإثراء الشخصية والارتقاء بها بين شرائح المجتمع.

فالطالب الجامعي ليس بحاجة إلى العلم في الجامعة فحسب، بل يحتاج إلى التوجيه والإرشاد وصقل مواهبه الفطرية واتجاهاته وميوله، وهذه لا تشبع داخل قاعات الدراسة فقط، بل في خارجها كذلك، وتتجلى في مشاركته في النشاطات اللا صفية، الاجتماعية والرياضية والأدبية. وهذه من مهام التدريسيين داخل القسم والفرع والكلية في الجامعة.

إن هذه النشاطات تؤثر في شخصية التدريسي والطالب معا. فتأثيرها يكون في شخصية الطالب وجعلها أكثر اجتماعية وغير انطوائية ومنعزلة، وتعزز سمات الجرأة والشجاعة الأدبية وطرح الرأي وطريقة الحوار بأسلوب حضاري يتناسب والمرحلة العلمية التي يعيشها، مما يؤدي بالنتيجة إلى رفع مستواه العلمي وإنضاج شخصيته. أما التدريسي فترفع من كفاءته العلمية إذا ما كان الطالب مواظبا حريصا كثير الأسئلة العلمية داخل القاعات الدراسية أثناء

المحاضرات، وهذا ما يدفع بالأستاذ إلى السعي لمتابعة المناهج الدراسية وتطوراتها وإعطائها إلى الطلبة. فضلا عن ذلك فان المحاضرات الإرشادية تكسر الملل والرتابة عند الطلبة وتكون أشبه بشحنات معنوية وحقن اجتماعية ومجالا للتنفيس لما هو مكبوت في داخلهم بشكل مفيد ونافع، ولأنها تحمل في طياتها القيم الدينية والاجتماعية وتذكرهم بأصالة حضارتهم وضرورة الإقتداء بسنة الأنبياء وتطبيقها في الواقع الاجتماعي اليومي.

إن هذه العمليات الثقافية تشكل محور التفاعل الاجتماعي المباشر القائم على نسق من العلاقات الاجتماعية والتربوية، ويتجلى هذا في قلة نسبة الغياب وارتفاع نسبة النجاح كما ونوعا بسبب التزامهم بشروط التفوق والنجاح. ويلعب قبولهم في الأقسام والتخصصات التي يرغبون بها دورا كبيرا في ذلك. وبالتالي رسم صورة من التعاون والمنافسة المشروعة ومن ثم تحقيق الأهداف العامة والخاصة.

أما إذا كان الوضع عكس هذا، مثل عدم عدالة الأستاذ في التعامل وضعف كفاءته العلمية والاجتماعية، فإننا نرى ارتفاعاً في نسبة الغيابات مع انخفاض المستوى العلمي ونفورهم من المحاضرات والأستاذ وعدم إقبالهم للمشاركة في النشاطات الاجتماعية والثقافية والرياضية واتساع المسافة الاجتماعية والشخصية بين الطلبة والأستاذ وغيرها، ليؤدي ذلك إلى توجههم إلى المسائل التي تعرقل العملية التدريسية كانشغالهم بالعلاقات العاطفية وهدر الكثير من الوقت والجهد والمال في المكالمات الهاتفية والاستماع إلى النغمات الموسيقية بدلاً من الاتجاه إلى العلم وتحمل المسؤولية تجاه أنفسهم وأسرهم وبلدهم. وهذا ما يخلق تفاعلا اجتماعيا سلبياً يقوم على روابط العلاقات الاجتماعية السلبية والسطحية بين الأستاذ والطالب.

٣ / التفاعل بين الطلبة

إن التفاعل الاجتماعي بين الطلبة يتوقف على جملة من العوامل، منها نمط العلاقات الاجتماعية، وهذه بدورها تعتمد على محددات أبرزها الخلفية الاجتماعية والثقافات الفرعية التي يحملونها، فضلا عن التخصص العلمي.

إن الخلفيات الاجتماعية لها دور مهم في التفاعل الاجتماعي لما تحمله من قيم وعادات وتقاليد تؤثر على سلوكيات الإنسان في الحياة الاجتماعية اليومية. فالخلفية الحضرية تتسم بقيم الفردية والأنانية والمصلحية والسطحية، وعلى نقيضها الخلفية الريفية التي من سماتها الروح الجماعية وتغليب المنفعة العامة على الخاصة. أما الثقافات الفرعية فتضم أنماطا من السلوكيات وأساليب التفكير المختلفة، والتي من الصعب ارتباط أفرادها بعلاقات اجتماعية ايجابية بدرجة عالية من الانسجام خلال فترة زمنية قصيرة. وهذا ينعكس على نمط التفاعل الاجتماعي الذي ربما يتحول إلى صراع بدل التعاون.

في ظل هذه التناقضات وإذ ما رافقها ضعف في الجانب الإرشادي من الكادر التدريسي الذي يعمل على تقريب الأفكار المختلفة لاسيما في ظرف البلد الراهن، فسيكون الصراع محور التفاعل وربما يكون له تداعيات سلبية على العملية التعليمية، فضلاً عن إحتمال إنقسامهم إلى مجموعات صغيرة من الطلبة تحمل أفكارا مختلفة على حساب المجموعة الواحدة والهدف الواحد والفكر الواحد. ويتجلى في إفشال العديد من النشاطات اللا صفية، ومنها السفرات والمسابقات الثقافية والجلسات الإرشادية. وهذا له انعكاسات على مختلف المستويات، كالمستوى العلمي والتضامن والتكافل فيما بينهم لضعف العلاقات الاجتماعية التي تربطهم.

النتائج

١- إن الجامعة تشكل تنظيما اجتماعيا مميزا.

٢- تضم الحياة الجامعية العديد من العمليات الاجتماعية المختلفة والمتنوعة.

٣- إن المراكز والأدوار محددة بأنماط سلوكية تلعب دورا مهما في تشكيل العلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

٤- إن نمط العلاقات الاجتماعية يمكن أن يرسم صورة لأنماط التفاعل الاجتماعي البناء في الحياة الجامعية.

٥- إن التفاعل الاجتماعي قد يأخذ أنماطاً وصوراً متنوعة ومختلفة كالتعاون والمنافسة والصراع.

٦- تبين أن هناك ضعف نسبي في الجانب الإرشادي تجاه الطلبة في الجامعة.

التوصيات

١- ضرورة الاهتمام بالجانب الإرشادي وتوفير الظرف الملائم له.

٢- ضرورة الاهتمام بعقد الندوات والحلقات النقاشية وإشراك الطلبة فيها.

٣- الاهتمام بجميع الجوانب المحيطة بالعملية التدريسية، العلمية والإدارية والإرشادية والاجتماعية

الهوامش والمصادر

(١) سليم ، شاكر مصطفى ، قاموس الانثروبولوجيا ، جامعة الكويت ، الكويت ، ١٩٨١ ، ص ٧٢٧ .

(٢) سيمور، شارلوت – سميث، موسوعة علم الإنسان، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، ط٢، القاهرة (مصر)، ٢٠٠٩، ص ٥٤٤.

(٣) بدوي ، احمد زكي ، معجم العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت (لبنان) ، ١٩٨٢ ، ص ٣٨٩ .

(٤) غيث ، محمد عاطف ، علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية (مصر) ، ١٩٨٤، ص٢٠٥.
(٥) السالم ، فيصل ، وتوفيق فرح ، قاموس التحليل الاجتماعي ، دار المثلث للتصميم والطباعة والنشر ، لبنان ، ١٩٨٠ ، ص ١٠٠.
(٦) الحسن ، إحسان محمد ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، بغداد (العراق) ، ٢٠٠٤ ، ص ٤٧ .
(٧) الجولاني، فادية، مبادئ علم الاجتماع،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية(مصر)، ١٩٩٣، ص٤٧٦.
(٨) المصدر نفسه، ص٤٨٠.
(٩) مدكور، إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (مصر)، ١٩٧٥، ص٥٣٤.
(١٠) بدوي، احمد زكي، المصدر السابق، ص٤١٠.
(١١) دنكن، ميشيل، معجم علم الاجتماع، دار الرشيد للنشر، بغداد (العراق)، ١٩٨٠، ص٢٦٥.
(١٢) المصدر، نفسه، ص٢٥٣.
(١٣) مدكور، إبراهيم، المصدر السابق، ص٣١٧.
(١٤) بدوي، احمد زكي، المصدر السابق، ص٣٧.
(١٥) السالم، فيصل، وتوفيق فرح، المصدر السابق، ص٢٧.
(١٦) دنكن، ميشيل، المصدر السابق، ص٣٦.
(١٧) غيث، محمد عاطف، المصدر السابق، ص٢٠٥.
(١٨) السالم، فيصل، وتوفيق فرح، المصدر السابق، ص١٠٠.
(١٩) العاني، عبد اللطيف، وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، جامعة بغداد، بغداد(العراق)، ١٩٩٠، ص٩٣.
(٢٠) غيث، محمد عاطف، علم الاجتماع، المصدر السابق، ص٢١٢.
(٢١) الجولاني، فادية، المصدر السابق، ص٤٧٨.
(٢٢) غيث، محمد عاطف، علم الاجتماع، المصدر السابق، ص٢٠٥.
(٢٣) غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٩، ص٨٢.
(٢٤) غيث، محمد عاطف، علم الاجتماع، المصدر السابق، ص٢٠٧.
(٢٥) بدوي، احمد زكي، المصدر السابق، ص٣٥١.
(٢٦) المكتبة الافتراضية، محمد موصلي، التمثيل الرمزي الجزئي للمواقع السكنية في مدينة جدة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، العدد ١، ١٩٩٩.
(٢٧) عمر، معن خليل، معجم علم الاجتماع المعاصر،دار الشروق، عمان (الأردن)، ٢٠٠٠، ص١٦٤.
(٢٨) الجولاني، فادية، المصدر السابق،ص٤٧٦.
(٢٩) بدوي، احمد زكي، المصدر السابق، ص٣٥٢.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٣٥٢.
(٣١) مدكور، إبراهيم، المصدر السابق، ص٤٠٣.
(٣٢) المصدر نفسه، ص٤٠٤.
(٣٣) العاني، عبد اللطيف، وآخرون، المصدر السابق، ص٩٢.
(٣٤) مدكور، إبراهيم، المصدر السابق، ص٤٠٤.
(٣٥) المكتبة الافتراضية، Shichen Fan , sociological contemplation on the preparation and implementation of urban planning in china , 2011.
(٣٦) الخالدي، خليل محمد، خصائص المجتمع الموصلي، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، الموصل (العراق)، ٢٠٠٦، ص٦٩.
* مقابلات الباحث مع عدد من موظفي وموظفات جامعة الموصل.
** مقابلات الباحث مع نخبة من أساتذة جامعة الموصل.
*** مقابلات الباحث مع عدد من أساتذة كلية التربية والآداب.